

الهرمينوطيقا: من التفسير إلى الوجود الفينومينولوجي

الأنطولوجي في ضوء فكر هيدغر

عياط فايزة1

كرد محمد2

1- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر.

faiza.ayat@univ-mascara.dz

2- قسم الفلسفة، جامعة معسكر

mohammed.kerd@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/15؛ تاريخ القبول: 2025/04/18

**Hermeneutics: From Interpretation to Phenomenological-
Ontological Existence in the Light of Heidegger's Thought** □

Ayat Faiza

Kerd Mohammed

Abstract: Since its inception, the concept of hermeneutics has been closely linked to the fundamental challenges of interpreting texts and uncovering their profound meanings. In ancient Greek civilization, hermeneutics was considered a literary and philosophical method aimed at deciphering the mysteries of religious, mythological, and poetic texts, relying on a balance between literal interpretation and symbolism. With the dawn of the Renaissance, this concept crystallized into an independent discipline within theological studies; attention was directed toward exploring the language of sacred texts and understanding their origins and rules, all in pursuit of extracting the true meaning hidden behind words and metaphor.

Over time, the scope of hermeneutics expanded, paving its way into the philosophical realm, where it became a foundational

framework for probing the conditions and criteria of deep textual understanding in all its manifestations. These transformations sparked an intellectual ferment that gave rise to various philosophical positions, each striving to reach the essence of meaning beyond superficial readings.

Keywords: hermeneutics; existence; interpretation; history; language.

الملخص:

منذ انبثاقها، ارتبط مفهوم الهرمينوطيقا ارتباطا وثيقا بالتحديات الجوهرية لتفسير النصوص وفهم معانيها العميقة. ففي الحضارة اليونانية القديمة، كانت الهرمينوطيقا تعد منهجا أدبيا وفلسفيا يهدف إلى فك طلاسم النصوص الدينية والأسطورية والشعرية، مستشهدةً بتوازن بين الحرفية والرمزية. ومع بزوغ فجر عصر النهضة، تبلور هذا المفهوم كعلم مستقل ضمن إطار الدراسات اللاهوتية؛ إذ تمّ تسيير الاهتمام نحو استقصاء لغة النصوص المقدسة وضبط أصولها وأحكامها، سعياً لاستخراج المعنى الحقيقي المخفي خلف الألفاظ والمجاز.

ومع مرور الزمن، اتسعت دلالات الهرمينوطيقا لتشق طريقها إلى الميدان الفلسفي، حيث أصبحت تشكل قاعدة بحثية تسبر شروط ومعايير الفهم العميق للنصوص بكافة تجلياتها. لقد أحدثت هذه التحولات مخاضاً فكرياً أثمر عن العديد من المواقف الفلسفية المتنوعة، كل منها يسعى إلى الوصول إلى جوهر المعنى بعيداً عن سطحية القراءة.

الكلمات المفتاحية: الهرمينوطيقا؛ الوجود؛ التأويل؛ التاريخ؛ اللغة.

مقدمة:

يُعتبر مبحث الهرمينوطيقا من أعقد المباحث الفلسفية وأكثرها إثارة للجدل، إذ يجمع بين مستويات متعددة من الخطاب التأملي؛ سواء كان إستمولوجيا، فينومينولوجيا، أنطولوجيا، أو سيميائيا. ويستمر الحديث عن الهرمينوطيقا في افتراض قضية أساسية تتمثل في سوء الفهم، كما يشير إلى ذلك شلايرماخر، مؤسس الهرمينوطيقا الفلسفية.

لقد اهتمت النظريات الكلاسيكية والرومانسية في بداياتها بتفسير النصوص المكتوبة والشفوية وترجمتها، فامتلكت هذه النظريات مهمة تأويلية تتمثل في الإجابة على السؤال الأساسي: كيف يمكن فهم النص بدقة؟ وقد تمحورت جهودها حول تأسيس مجموعة من القواعد والمعايير والشروط التي تشمل كل النصوص دون استثناء، مما جعل من علم الهرمينوطيقا منهجا وأداة لتجاوز حالات سوء الفهم.

غير أن القرن العشرين شهد منعطفًا حاسمًا في مسار الهرمينوطيقا، إذ ابتعدت عن ميادين المعرفة التقليدية التي نمت فيها نظريات التفسير لتدخل بعمق في حيز الوجود الجوهري. هنا يتحول السؤال من كيفية تجنب سوء الفهم والوصول إلى فهم دقيق للنصوص، إلى التساؤل عن ماهية الوجود ذاته. وهكذا يتحول البحث من فهم النصوص إلى فهم الوجود، كما برز

جليا في أعمال الفيلسوف مارتن هيدغر (1889-1976) الذي أبرز نظريته التأويلية في كتابه (الوجود والزمان). (ETRE ET TEMPS)

بهذا التحول، قدّم هيدغر إنجازا فلسفيا جديدا ومغايرا تماما للتأسيس الهرمينوطيقي التقليدي؛ فقد غدت الهرمينوطيقا مشروعا أنطولوجيا يؤسس للبنية الأنطولوجية للفهم، ويسعى من خلاله إلى تحليل (الدازين) كخطوة أولى لفهم الوجود، متجاوزا التراث الفلسفي الذي كان يركز على الذات أو الأنا، ومن هنا يبرز السؤال التالي: ما موقف هيدغر من الهرمينوطيقا؟ وكيف استطاع أن يوظف هذا المنهج في تحليلاته الأنطولوجية والفينومينولوجية؟

مفهوم الهرمينوطيقا:

يرتكز مصطلح الهرمينوطيقا على جذور لغوية إغريقية عريقة، إذ يستمد من فعل هيرمينويان (HERMINEUEIN) الذي يحمل في طياته معاني التفسير والتعبير والشرح والترجمة. وقد نشأت الكلمات المرتبطة به مثل (هرمينيا)، (هيرمينوس)، (هيرمينوطيس)، و(هيرمينوطيكوس) لتؤسس ما يُعرف لاحقا بـ(هرمينوطيقا) (HERMINEUTIQUE)، (العواودة وآخرون، 2018، 97) وهو فن دقيق في استنباط معاني النصوص من خلال قواعد ثابتة وفنون صناعية تمتد من النحو والبلاغة إلى الأنظمة الأدبية والقانونية والدينية.

في جوهرها، تعبر الهرمينوطيقا عن سعي الإنسان إلى كشف الباطن الخفي في النصوص، (عناي، 2003، 112). تلك المعاني السرية التي تتجاوز القراءة الحرفية وتستند إلى قواعد فكرية تمكنا من استشراف الحقائق المضمرّة. فالهرمينوطيقا، بهذا المعنى، تتجاوز كونها آلية لغوية، إلى اعتبارها منهج فلسفي يعيدنا إلى عمق العلاقة بين النص والقارئ، حيث تصبح الكلمات جسرا ينقل الحكمة من العصور القديمة إلى حاضرتنا المعاصرة.

وقد وجدت هذه الفلسفة تجسيدها في شخصية هرمس، رسول الآلهة لدى اليونانيين، الذي كان بمثابة وسيط بين عوالم لا تعد ولا تحصى؛ إذ كان هرمس يترجم مقاصد الآلهة إلى لغة البشر، عابرا بذلك الفجوات الأنطولوجية بين الوعي واللاوعي، وبين ما هو مرئي وما هو مخفي. هنا يستدل على التشابه العميق بين وظيفة هرمس والهرمينوطيقا، فكل منهما يقوم بدور (المؤول) الذي يعيد ترتيب الكلمات ليكشف عن معانيها الأصلية، ويحوّلها من حالة الغموض إلى نور المعرفة. (ايكو، 2004، 138)

وفي سياقٍ أوسع، تطور مفهوم الهرمينوطيقا عبر العصور؛ ففي القرون الحديثة، اتسع نطاقها لتشمل مناهج تفسيرية للنصوص الدينية والدينيوية على حد سواء، ومع ذلك بقيت دعوتها الخالدة هي الكشف عن الحقائق المخبأة وراء الظواهر اللغوية، وما ينطوي عليه من معاني سرية لا يمكن للإدراك السطحي أن يصل إليها.

ومن هنا ينبثق جدل فلسفي حول العلاقة بين التفسير الحرفي والنقد التأويلي؛ ففي حين يرى بعض المفكرين، مثل مراد وهبة، أن أصل الهرمينوطيقا مرتبط ارتباطا وثيقا بهرمس كمرسل للآلهة، يؤكد آخرون، بمن فيهم غدامير، على ضرورة التفريق بين النقل الحرفي وما تحمله من معاني وبين فن الفهم العميق الذي يهدف إلى استجلاء الجوهر الحقيقي للنص. (غدامير، 2006، 62). فالغموض الذي يكتنف هذا المصطلح لا يعد إلا انعكاسا للتعددية الدلالية التي يحملها، حيث يتداخل فيه معنى الشرح والتعبير والشرح الفني مع معاني التأويل والترجمة، في محاولة دؤوبة للوصول إلى جوهر الحقيقة.

وبالنظر إلى التراث العربي، نجد تحديا لغويا وفكريا في استيعاب هذا المفهوم؛ إذ ترجمت الهرمينوطيقا إلى مصطلحات عدة مثل (التأويل)، (فن التأويل)، (نظرية التفسير)، أو حتى (التأويلية)، مما يعكس تعدد الرؤى والطرق التي يتناول بها المفكرون هذا الفن العميق. وقد حاول بعض الباحثين، مثل مراد مهيبيل ومحمد شوقي الزين ومصطفى النحال، إيجاد صيغة مصطلحية تعبر عن ذلك البعد الفلسفي الوجودي في التأويل.

وهكذا، يستمر سعي الفلاسفة والباحثين إلى استيعاب الهرمينوطيقا كعلم وفن، يتجسد في استكشاف آليات الكشف عن الحقائق المختبئة في النصوص، في رحلة لا تنتهي نحو الوصول إلى عمق الوجود والمعرفة.

الهرمينوطيقا بوصفها انطولوجيا:

شكل مؤلف (الوجود والزمان) منعطفًا مهمًا في تاريخ الفلسفة الغربية حيث عالج فيه هيدغر مسألة (معنى الوجود) والتي طرحتها الفلسفات التقليدية مسبقًا إذ يقول: (لقد كان هيرقليطس وبارمينيدس أعظم المفكرين حيث مارسا فعل التفكير والبحث في الوجود أي مع الواحد (وهو الكل))، والمقصود هنا هو الوجود كما دل عليه أرسطو. (هيدغر، 2015، 84).

يؤكد هيدغر على أن الفلسفات السابقة قد عاجلت مسألة معنى الوجود، وقد كان اليونانيون أول من اهتم بمحاولة الإجابة عنها، إلا أن تلك المسألة لم تطرح ولم يتم الإجابة عنها على النحو الذي ينبغي أن تكون عليه، حيث سخرت الفلسفات التقليدية إجاباتها ووجهت إهتماماتها في مسألة (معنى الوجود) إلى الموجود بما هو موجود ولم تلتفت إلى الوجود بصفة عامة، وكل النظريات والمواقف التي ظهرت على أرض الفلسفة والتي تمتد أصولها من أفلاطون وأرسطو إلى غاية نيتشه ماهي إلا إثبات للقراءة والنسب فيها هي نفسها. (هيدغر، 1996، 96).

يقول هيدغر: (أيا ما كان النحو الذي يفسر بمقتضاه الموجود دائمًا، سواء من حيث هو روح، أو من حيث هو مادة وقوة، أو من حيث هو صيرورة وحياة أو امتثال أو إرادة، أو جوهر، أو ذات أو (إنيرجيا) (الفعل)، أو من حيث هو عود أبدي لنفس الشيء، ففي كل نحو من هذه الأنحاء يظهر الموجود في النور، لقد وصل إلى حال من الانكشاف).

وانطلاقا، من ذلك، يمكن القول أن تحليل الدازين يعتبر النقطة الأولى التي ينطلق منها البحث الفلسفي لبلوغ سؤال الوجود، وقد أصطلح على هذا التحليل الوجودي للكائن في العالم باسم الأنطولوجيا الأساسية.

يقول هيدغر ما نصه: (وفي ثانيا ما أسلفنا من إيضاح تولدت الضرورة الداعية إلى أنطولوجيا أساسية، يكون من شأنها أن تأخذ موضوعا لها الكائن المتميز أنطولوجيا - أنطيقيا، نعني الدازين وذلك بحيث تضع نفسها أمام السؤال الأصلي، السؤال عن معنى الكينونة بعمامة).

ومعنى هذا أن الإنسان، لا تهتم به الأنطولوجيا من حيث هو إنسان، بل من حيث هو الكائن الذي ينكشف من خلاله معنى الوجود.

والجدير بالذكر أنه ما كان لهذه الأنطولوجيا أن تقوم إلا بالاعتماد على المنهج الفينومينولوجي الذي يتجه إلى الأشياء مباشرة، ولكن من وجهة نظر جديدة حيث أضفى عليها معنى جديدا وغير طابعها واهتماماتها المنهجية التي كانت تؤدي دورا معرفيا ووضعها في سياق جديد من خلال تأسيسه (للفينومينولوجيا التي تقوم على الهرمينوطيقا).

إن قراءة هذه الأسطر الأخيرة ستجعل القارئ في حيرة من أمره متسائلا كيف أمكن لهيدغر أن يجمع في مشروعه بين الأنطولوجيا والفينومينولوجيا من جهة وبين الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا من جهة أخرى؟ سنحاول توضيح هذه العلاقة القائمة بين هذه المفاهيم الثلاثة. انطلاقا من قول هيدغر.

يقول هيدغر: (إن الفلسفة هي أنطولوجيا فينومينولوجية كلية، تنبع من هرمينوطيقا الدازين، التي، من حيث هي تحليلية الوجود، هي قد عينت نهاية الخيط الهادي لكل تساؤل فلسفي من أين ينبحس وإلى أين يرتد).

يَبِّن هذا المقطع الأخير أن مشروع هيدغر يتشكل من الأنطولوجيا، الفينومينولوجيا، الهرمينوطيقا، تقيم هذه المصطلحات الثلاثة نوعا من التداخل فيما بينها داخل البنية الأساسية للمشروع الهيدغري.

ولتوضيح هذه العلاقة بين الفينومينولوجيا والأنطولوجيا والهرمينوطيقا سنستحضر تعريف هيدغر للفينومينولوجيا: الفينومينولوجيا تعني إذن: البيان عما ينكشف انطلاقا من ذات نفسه، ذلكم هو المعنى الصوري للبحث الذي يأخذ اسم الفينومينولوجيا)،

يقرر الدازين أسلوب تواجده سواء في ذلك أكان قد اختاره أو تقاعس عنه وضيعه من يده، فقد يتم الاختيار على نحو يمكن الدازين من بلوغ ذاته وتحقيق إمكانياته فيحيا حياة أصيلة، وقد يتم على نحو آخر بحيث يملى الاختيار عليه من الناس فيحيا كما يحيا الناس حياة زائفة غير أصيلة. ومن هذه الحياة - يبدأ هيدغر تحليله لوجود الدازين - وهو التحليل الذي لا يصح أن يغيب أبدا عن بالنا باعتباره المعبر المؤقت إلى فهم معنى الوجود، وهذا التحليل يساعدنا على فهم هذا الدازين من جهة كونه وجودا - في العالم (هيدغر، 1977، 52-53).

دعا هيدغر إلى ضرورة انتشال هذه الظاهرة من النسيان ومجابهة التقصير وفقدان الذات واستخلاصها من العتمة، بالاستناد إلى الهرمينوطيقا، فالفينومينولوجيا تقوم عند هيدغر بدور هرمينوطيقي، أي فينومينولوجيا هرمينوطيقية تكون بمثابة منهج جديد يقوم على فهم معنى الكينونة والبنى الأساسية للدازين بغية بلوغ الوجود الأصيل.

يقول هيدغر: (إن فينومينولوجيا الدازين إنما هي هرمينوطيقا في الدلالة الأصلية للفظ، حيث يشير إلى عمل التفسير، ولكن من حيث أنه طريق الكشف عن معنى الكينونة والبنى الأساسية للدازين، إن اللوغس في فينومينولوجيا الدازين إنما له طابع التفسير الذي من خلاله يتم فهم الكينونة الذي ينتمي إلى الدازين ذاته، بالمعنى الأصيل للكينونة وبالبنى الأساسية التي من شأن كينونته الخاصة) (هيدغر، 2012، 103).

المراجع:

إيكو أمبرتو، التأويلات بين السميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بركراد، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط2، 2004.

عناني محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط3، 2003.

العوادة وآخرون، الهرمينوطيقا الغربية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2018.

غدامير هانس غيورغ، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2، 2006.

هيدغر مارتن، الكينونة والزمان، تر: فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2012.

هيدغر مارتن، إنشاد المنادى، قراءة في شعر هولدرلن وتراكل، تر: بسام حجار، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1996.

هيدغر مارتن، رسالة حول النزعة الإنسانية، من كتاب الفلسفة، الهوية والذات، تر: محمد مزيان، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015.

هيدغر مارتن، نداء الحقيقة، تر: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1977.

هيدغر مارتن، نداء الحقيقة، تر: عبد الغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1977.